لنتعارف

للكاتب فضل كبير فى توجيه القارىء توجيهاً إيجابياً . أو إثبات أمر له . أو تنبيهه إلى فكرة قد يكون محيطا بها إحاطة مجملة مختلطة . وهذا التنبيه البسيط إلى حقائق الأمور يتطلب من الكاتب الأديب دقة ملاحظة ، وكفاءة أدبية تتمثل فى سيطرة الكاتب على القارىء ، والتأثير على عواطفه بأسلوب إنشائى ممتع ، حتى أنه يستدرجه ويجعله يشاركه عن طوع واختيار مشاركة فعلية فيما يرى ويحس ، وحينئذ تحول إحاطته المجملة إيماناً عميقاً فى موضوعه مبنياً على أسس من المنطق الأدبى السليم القائم على صدق الواقع . لأن الكاتب يتخذ مادة أدبه مما حوله من وقائع وأحداث ، ويستوحى أفكاره من محيطه وما فيه من حركة وسكون . والوقائع والأحداث التى حولنا اليوم والتى تتعلق بنا كأفراد مرضى ، وبمجموعنا كأمة مصابة فى كيانها ومعنويتها هى لاشك مادة موضوعنا الأول الجدير بالمعالجة والدرس حيث أن المبادرة بتقويم النفس ، والبحث عن وسائل الإصلاح الوطنى هى أيضاً الجزء الأول والأهم من مظاهر تأدية الرسالة الإنسانية السامية التى يحملها الأدباء على الأخص .

وبالجهرة الكتاب مقدرة على سرد أسباب تأخرنا هذا ووصف الأوضاع الراهنة وصفاً صادقاً منتزعاً من حقيقة آلامنا فى فترة تاريخ حاضرنا المنكود . ولكننا قد أسهبنا فى ذلك وأطلنا حتى استنفدنا الحبر والورق والوقت الثمين ، ونسينا أن بيان نقاط الضعف وإيضاح أسباب الانحلال بكتاباتنا الأدبية الكثيرة التى لا تحمل إلا طابع الوصفية المجردة ، والنقد الجامد الخلو من التوجيه ، إن هى إلا الخطوة البدائية من خطوات الإصلاح الناجز التى استوفيناها بحثاً وإقراراً . والخطوة الثانية هى الإيمان بفكرة الإصلاح وأغلب الاعتقاد أن هذه الفكرة قائمة فى ذهن كل فرد منا مهما كان إيمانه ضعيفاً بمقدرات هذه الأمة ، ومهما بلغ به اليأس والقنوط . أما الخطوة الثالثة فهى تنفيذ فكرة الإصلاح عملياً وإبرازها من أعماق المخيلة إلى حيز الوجود متمثلة فى نهضة شاملة تنظم حياتنا الاقتصادية والسياسية والاجتماعية ، وكياننا عامة ولكننا نلمس إعراضاً من الأدباء وتهاوناً فى أمر هذه الخطوة ، واقتصارهم على غيرها بالقراءة والإفراغ فى بطون الصحف والمجلات إلى درجة الإشباع ، تاركين ذلك على ما يظهر إلى تدبير من نسميهم الساسة أو الزعماء . وكان يحسن أن يثبتوا هم اشتراكهم الفعلى فى رسم خطوط الإصلاح العريضة ، وفتح طريق العمل المثمر وأنا أومن بأنه سوف لا يستعصى علينا ذلك . ولكننا سنصطدم بعقبة بديهية هى من أين نبدأ العمل . فإن إحاطة المرء بأمر ما ليست كافية لتضمن له السير الصحيح فيه ، والحصول على النتيجة المتوخاة إلا إذا عرف من أين يبدأه أو يبدأ به .

هذه البداية هى هنا . هى فى تعارفنا . فى التعارف بين الفلسطينى والكويتى والمصرى والسورى والعراقى والحجازى التعارف الذى هو عامل تنمية روح الثقة ، وسبب تقوية روابط الشعور القومى . وهذا التعارف لا يكشف لنا فى الحقيقة عن جديد نجهله فيما بيننا ، ولكنه التقاء بعد طول غيبة اقتضتها الظروف الاستعمارية ونجحت إلى حد بعيد فى التفريق بيننا حتى رحنا نظن أننا أمم متفرقة ، وشعوب متباينة ، ويخيل إلينا أن كل مشروع نقوم به لِلَمّ الشمل إنما هو أمر صعب المنال لأننا بذلك إنما نجمع أمماً متباينة الأحلام ومتباعدة النزعات والأعراق ، لا أننا أمة التأمت أشلاؤها المتناثرة من جديد لتكون جسما صالحاً تنبعث فيه الروح والحيوية ، ويقوم على أصول من الدم ، واللغة الواحدة ، والتاريخ الواحد ، والشعور والتفكير الواحد .

هذا التعارف هو نقطة البداية فى دائرة الإصلاح العملى وهو متيسر لنا فى حدود واسعة . فهو متيسر للطالب الجامعى فى جامعته ، وللبعثات العاملة فى دوائر اختصاصها ، وللتاجر فى تنقلاته ، وللصحفى فى جولاته ، وللزائر فى زيارته مهما كانت وصفيته وحاجته . وإنى أخص بالذكر بعثات القائمين على الثقافة والتعليم من هيئات ومدرسين ومدرسات فى جميع البلدان العربية ، حيث هم الطليعة الأولى الواعية التى وصلت إلى درجة من التهذيب وبعد النظر ما يجعلهم قادرين على خلق جو التعارف والتفاهم خارج نطاق العمل المدرسى ، ونظراً لما فى رسالتهم من تكاليف قومية تستوجب عليهم إثبات شخصية الأمة العربية فى نفوس الناشئة كوحدة لا تتجزأ .

إذن فلنتعارف ، ولنتقارب ، ولنستغل كل فرصة تجمعنا فى المدرسة والبيت والشارع والمقهى والنادى والملعب ، لنتبادل الآراء ، ولنتصارح شارحين نفوسنا ، موضحين أمانينا ، باثين آلامنا ، بلا جفوة ، أو كلفة أو انطواء . ولنكن متسامحين ، متعالين بالغاية الشريفة عن دنايا الأمور الشخصية والفردية الطفيفة بقدر المستطاع .

لتصافنى وأصافحك . ولا فرق بين أن تمد أنت يدك أولا أو أمدها أنا ، ما دمنا نؤمن بفكرة الإصلاح ، وما دمنا أنا وأنت نقيس الأمور بمقياس من النضوج والخلق السامى لأننا من هنا نبدأ .

الكويت — المدرسة الأحمدية عبد الرحمن الريماوى